الرؤية في القصيدة السياسية عند الشاعر محمد محمود الزبيري

فارس توفيق محمد البيل*

ملخص

تنهض القصيدة السياسية من رحم الشعر لتخوض في غمار السياسة وشئون الحكم، لتؤكد شمولية الشعر والأدب عموماً، وطرقه لمناحي الحياة وشئونها، وتؤكد على أن الأدب متصل بحياة الناس ويمتلك وعياً فنياً إزاءها. ومنذ أن اتجه الشعر نحو السياسة؛ فإنه – على قلته – قد استطاع أن ينفذ إلى قلوب الناس، ويحدث أثراً في توجيههم وتحفيزهم، ولفت نظرهم إلى مكامن الخلل في إدارة الحكم.

ولا يزال الأدب أميناً على قضايا الناس، حامياً لحقوقهم، متنبهاً لما يعتريهم من ظلم، بل إنه سابق في التنبيه والتحذير، محفز دائم لطريق الإصلاح ومسارات التغيير.

وشاعرنا (محمد محمود الزبيري) واحد من هؤلاء الشعراء الذين وجهوا الشعر للسياسة، بل من أهمهم، وأكثرهم نضالاً شعرياً، واستطاع شعره أن يشكل خطاباً عاماً موجهاً للأحداث، وقائداً لمسيرة التحرر.

على أن الزبيري بشعره؛ كان صاحب رؤية عميقة، أنضجتها المواقف والمراحل، فبدى شعره واعياً لكل مسارب النضال، متدرجاً في الفعل والتوجيه؛ فمن المهادنة والنصح، إلى التمرد والمقاومة، وفي إطار التمرد أيضاً؛ سلكت القصيدة السياسية للزبيري مراحل موضوعية، تدرجت في التصعيد من المواجهة والإنذار للحاكم، إلى استنهاض الشعب وتهيئته، وصولاً لحشد الناس وتوجيههم وإعدادهم للمهمة الكبرى.

أولاً: المفهوم العام للقصيدة السياسية:

حينما نتحدث عن الشعر المُوجه نحو السياسة، أو الدائر حول معطياتها وأحداثها، فإنه ينبغي الوقوف عند مفهومها باعتبار العلاقة الجدلية القائمة بينهما ، ومن كون كل منهما متفاعل في إطار واقع الناس وبيئاتهم.

فالسياسة، من الجانب اللغوي كما جاء في لسان العرب :" السوسُ الرِّياسَة، يقال ساسُوهُم سَوساً، وإذا رَأَّسُوه قيل سَوَّسُوهُ وأَسَاسُوهُ ، وسَاسَ الأمر سِياسَةً قَامَ بِه ، ورجلٌ سَاسٌ مِن قومٍ سَاسَةٍ وَسُوَّاس... والسِّياسَةُ القِيامُ على الشيء بما يُصلِحه ...والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَهُ "[1].

وجاء في القاموس المحيط "سُستُ الرَّعيَّة سِياسَةً أمرتُها ونَهيتُها ،وفلانٌ مُجرَّبٌ قد سَاسَ وسِيسَ عليه أَدَّبَ وأُدِّب ...وسُوِّسَ فلانٌ أمْرَ النَّاسِ... صُيِّر مَلِكاً "[2].

وقد وردت تعريفات عديدة للسياسة، منها ما قاله ابن خلدون عنها:" حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[3].

وبذا يتضح لنا أن السياسة تعني تدبر شئون العامة، ومراعاة مصالحهم الدنيوية والأخروية. "أما في الاصطلاح الغربي فالسياسة هي فن الحكم، والرجل السياسي هو الذي يمارس أعمال الإدارة المدنية، وهو أيضاً الحاكم الرسمي الموجه الناصح "[4].

وإذا عرفنا مفهوم السياسة؛ فإن مفهوم الشعر السياسي إذن؛ هو" الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدولة الداخلي أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول "[5].

أو هو أيضاً " الفن القولي ...الذي يتعاطى شئون الحكم تأييداً أو تفنيداً، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم "[6].

ويعود تاريخ حضور القصيدة السياسية العربية . كما يرى بعض النقاد مثل أحمد الشايب، وأحمد الحوفي . إلى العصر الجاهلي، برغم أن المجتمع آنذاك لم يكن

*باحث بقسم اللغة العربية . كلية الآداب . جامعة عين شمس

يعرف إلا القبيلة التي كانت "وحدة المجتمع القبلي ، وهي بهذا المعنى تشبه الدويلة إلى حد بعيد "[7].

ولما كانت السياسة في العصر الجاهلي بسيطةً متناسبةً مع ذلك العصر، وفق إمكاناته ، لا تحمل رؤىً أو أفكاراً أكثر من المصالح الذاتية أو القبلية؛ فإن ذلك هو طابع القصيدة السياسية فيه أيضاً بمفهومها البسيط الذي لم "يتناول السياسة ومعانيها الجزئية أو يعالجها شرحاً ونقداً لأن الشعر يقاس هنا بغايته التي يرمي إليها ويحيا في سبيلها "[8].

ويذهب نقاد آخرون، مثل عباس الجراري إلى أن "العرب الجاهليين لم يكن لهم أن يعرفوا مثل هذا الأدب ..والسبب أنهم لم يعرفوا الدولة ولا نظم الحكم ولا التنظيمات السياسية، وإنما كانوا يعيشون حياة قبلية ضيقة محدودة"[9]. وإنما يبدأ تاريخ هذا الأدب " الذي صاحب الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول حين دخلت في طور جديد وتعرضت لألوان من المشاكل تتصل في أساسها بنظام الحكم، وما نتج عن هذه المشاكل من إنشاء أحزاب مختلفة كان لكل منها شعراء وخطباء"[10].

وأياً يكن من أمر تلك البداية؛ فإن القصيدة السياسية كانت حاضرةً خلال عصور الأدب المختلفة، مرتبطةً بالإنسان والتعبير عن واقعه وما يشمل السياسة، كما تناولت الأحداث، والوقائع ،وتفاعلت معها سلباً أو إيجاباً. فلم يكن الشعر القديم بالضرورة " منفصلاً عن قضايا الناس الحيوية ومشكلاتهم الاجتماعية؛ فالشعر الصادق . مهما كان تعبيراً ذاتياً عن صاحبه . إنما يمس من قريب أو بعيد ظروف الحياة التي تعيشها الجماعة "[11].

على أن التناول الشعري للسياسة ومجرياتها يتم بالطريقة " الفنية التصويرية الشعورية بحيث لا يلتزم البراهين المنسقة ولا الجدل التام العناصر، ولا التفصيل العريض، وحسبه أن يوجز القول مكتفياً بأهم عناصره معتمداً على نباهة القارئ الذي يدرك المحذوف، ثم يعنى بالناحية الخيالية يتخذ منها صوراً تلائم غايته من الإجلال أو الاحتقار، وربما اتخذ منها براهين خطابية لقصد التأثير "[12] .

و هذا لا يلغي أن تكون القصيدة السياسية منبثقة في قوالب لا تبدو ذات صلة واضحة بالسياسة، إذ يمكن أن تقع في إطارها " من خلال جسور تقليدية كقصيدة المديح أو الهجاء والفخر والرثاء وحتى الغزل "[13].

على أن الطابع العام للقصيدة السياسية، وخطابها الشعري" السهولة والوضوح في المفردات والعبارات والخيال؛ لأن الأدب السياسي الصرف مقصود به التأثير وتيسير الذيوع والتنقل والفهم، ليحدث أثره في العامة والخاصة بغير اضطرار إلى إجهادهم في التفهم والتفكير "[14].

وإذا كانت السياسة قد أصبحت واقعاً مؤثراً في حياة الإنسان، وسلوكه وأمور معاشه، وأضحت من أهم مظاهر الحياة؛ فإن دور الأدب يتعاظم في اقترابه من هذا الواقع، وتوجيه الإنسان . إذ تحدد مفهوم الأدب "منذ وقت مبكر في العصر الحديث بأنه (نقد للحياة) أو (تفسير لها) وكان ذلك معناه ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات عصره وقضاياه ، حتى يتمكن من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى ماهي رازحة فيه وتوعيتها بواقعها ومصيرها "[15].

وبذا يتبين دور الكلمة الحرة ، إذ " لابد أن تخلق شعباً حراً يفهم دوره التاريخي والحضاري جيداً، أما الكلمة الذليلة هي بمثابة خنجر مسموم في صدر الأمة، لأنها لا تعبر عن متطلبات الشعب لكنها ترقص في زفة السلاطين والأمراء مما يجعل الوطن والمواطنين يسيرون إلى الوراء وضد الزمن"[16].

ويذهب نزار قباني إلى أبعد من ذلك حين يقول: " إن دور الشاعر المغني قد انتهى، وهذا العصر لم يعد يبحث عن شاعر يحرك فيه غريزة الطرب.. ويهز له سريره حتى ينام، ولكنه يبحث عن شاعر يؤرقه ، ويثير أعصابه ، ويغرز في جلده دبوساً من نار" [17] ومما سبق يتضح لنا مفهوم القصيدة السياسية ، باعتبارها نتاجاً أدبياً مؤثراً يتخذ من الحدث السياسي مركزاً يتفاعل معه ، ويدور حوله ، ويعبر عن تأثيراته المختلفة ، بغية خدمة طرف من أطراف السياسة ، أو المشتغلين بها ، وأولئك المتأثرين بنتاجها.

ثانياً : سمات الرؤية في قصيدة الزبيري السياسية:

يمكن القول إن رؤية القصيدة السياسية عند الزبيري اتسمت بسمتين أساسيتين تبعاً للمراحل التي مرت بها وهما:

1 . المهـادنـة :

كانت البدايات الأولى لتَشَكُّل ملامح رؤية الشاعر، هي تجربة الرعيل الأول من رفاقه . كما يقول . فقد " نبع فريق منهم من الأرض اليمنية عن طريق المطالعات للكتب الحديثة ، ووفد آخرون عائدين من بغداد[18]، بعد أن أنهوا دراستهم العسكرية، كانت تجربتهم التبشير بأفكار عصرية بحتة ونقلها إلى شعبهم كما هي ، وهو شعب . كان . لم يعرف أي شيء عن العصر الحديث ، وكان لهذا الأسلوب رد فعل شعبي ورسمي مضاد ، وشاعت عنهم حكاية الاختصار للقرآن كذباً وبهتاناً ، ولكنها شاعت لأنهم لم يتخذوا الاحتياطات ضد قبول مثل هذه الإشاعات . وكان كل هذا شيئاً طبيعياً، لأنها التجربة الأولى وسهل على الحكم الرجعي أن يلغي وجودهم بالسجن، وكان الشعب يطلب ما هو أكثر من السجن. ولم يستطع الشباب بمجرد هذه التجربة أن يكتشفوا معدن الحكام على حقيقتهم "[19].

فكان الزبيري ممن راقبوا هذه التجربة؛ إذ هو واحد من طليعة الشباب المخضرم الذين تفتحت أفكارهم، وأتيحت لهم رؤية العالم الخارجي، ففتحوا أعينهم على عصر غير العصر الذي ينتمون إليه في واقع بلدهم، فكانوا ـ وهم " طليعة الشباب الأحرار اليمنيين قبل الحرب العالمية [الثانية] وأثناءها يقتحمون بأفكارهم الشابة المتفتحة عالماً ضخماً معقداً جديداً عليهم مليئاً بالألغاز والاحتمالات والمتاهات "[20].

ولمّا كانوا ينتمون إلى بيئتهم ومجتمعهم وعواملهم الوراثية، ويؤلمهم ذلك الوضع، وتلك الحياة المتأخرة عن العصر؛ فقد أرادوا أن يكونوا "جسراً يعبر الشعب عليه، ويقطع مسافة قرون طويلة، وتلك رسالة من أصعب الرسالات التي يتحملها جيل من الأجيال"[21].

ولذلك، ومن أجل القيام بهذا الدور كان لزاماً عليهم أن يتدارسوا تجربة الرعيل الأول وأن يقفوا عليها تدقيقاً وتمحيصاً، ليتجاوزوا العثرات ويتخطوا المصاعب، ويحققوا شيئاً لا يوصلهم إلى النتيجة السابقة لتجربة أسلافهم من الرعيل الأول. وبعد أن تدارسوا أمرهم أدركوا " أنه لا يتم عمل ولا تقدم ولا تنجح دعوة من غير طريق الدين الذي يستمد الحكام منه سلطتهم وقلنا : إنه لابد لنا من إحدى الحسنيين ، فإما أن يسمح الحكام للفكرة بالانتشار فهو النجاح السلمي على مستوى الحكومة والشعب معاً ،وإما أن يرفضوها ويقاوموها وهي دعامة حكمهم فسيضطرون لهدم هذه الدعامة ويصبح حكمهم بغير أساس "[22].

ومع ذلك التكتيك، وتلك المرحلة من النصح المدروس؛ فقد وجدوا أنفسهم أيضاً في السجن، ولم يُجدِ ذلك مع حكامهم، وكان الشعب . وقد بدءوا في ململته . مازال متحجراً منصاعاً لحكامه، وما تزال نظرته بعيدة عن دورهم. وإدراك واقعه وحياته. وهكذا عادت هذه الطليعة لدراسة تجربتها من جديد. وقد أدرك الشاعر منذ البداية أن النصح واللين والمدح، الخطوة الأولى التي يجب أن تستمر، ومن الصعوبة، ومن غير المنطق أيضاً القفز عليها: "ورأينا أن

التاريخ سيحكم علينا بالتهور والتسرع إذا لم نكرر التجارب بطرق أكثر ليناً، فالعامل الإنساني يجب أن يُراعى حتى بالنسبة إلى حكامٍ يسيطرون على مقدرات الشعب بغير حق، والله سبحانه وتعالى يقول لموسى وهارون عليهما السلام، وهو يبعثهم إلى فرعون:

﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [23] ، من هنا نشأت فكرة التطامن للعاصفة بعد أن وجدنا أنفسنا سجناء (جبل الأهنوم) وظهرت الثقة بمقدرة الشعر على إقناع الحكام بأننا لسنا أعداء بل إننا أبناؤهم البررة. وإننا على استعداد لأن نكون كسائر أفراد الشعب مستمعين مطيعين، نراهم كما يراهم الناس. والهدف من ذلك إعادة التجربة بأسلوب يحفظ على الحكام كبرياءهم، حتى إذا كانت الكبرياء هي التي تحول دون تسامحهم مع نشاطنا المرجو، فإننا نكون بهذه المداراة قد ساعدناهم على أن يكونوا طيبين معنا"[24].

وهكذا رسخت فكرة المهادنة والتطامن للعاصفة في شعر الزبيري كونها الأنسب والخيار الأمثل لتلك المرحلة كما يرى الشاعر، فظلت هذه سمة القصيدة حتى خروج الشاعر إلى عدن.

واحتوت هذه الرؤية المهادنة المدح والاستعطاف بقصد الخروج من السجن أولاً، ومن ثم المدح والدعوة الغير مباشرة للإصلاح فيما بعد.

وفي قصيدة الشاعر الموجهة للإمام يحيى من سجنه، سجل الشاعر رحلته وآلامه وأهوال السجن المحيطة به ومنها :

رَحَلُوا بِنَا مُنذُ الصَّبَاحِ وَلمْ نَكن
نَدرِي أَرِحلَةُ سَائِحٍ أمْ مَصرَعُ
عُرِضَتْ لَنَا تِلكَ المُطيِّ كَأَنَّهَا
نَعشٌ يَؤمُّ بِنَا المَقابِر مُسرِعُ
وَتَهَافَتَ النَّاسُ الجَمِيعُ كَأَنَّهُم
حَضَرُوا جَنَازَةَ مَيِّتٍ لا يَرجِعُ
وَأَتَت مَوَاكِبُ أهلِنَا لِتَرُدَّنَا
بِنَحِيبِهَا عَمَّا إلِيهِ نزمَعُ
رُحمَاكَ يَاغَوثَ اللّهِيفِ فَإنَّ سا
عَات العَذاب طَوِيلَةٌ مَا تَقَلعُ
مَا أضيقَ الدُّنيَا عَلى ذِي كُربَةٍ
حَتى يَرى أنَّ المَقابِرَ أوسَعُ
هَذِي قَوَافِينَا إلِيكَ مُنِيبَةٌ
يَبدُو لَهَا غَضَبُ الإمامِ فَتفزَعُ
جَفَّتْ مَدَامِعُنَا وَفاضَ شُعُورُنَا
وَالشِّعرُ فِي بَعضِ المَواطِن أدمُعُ[25]

ورغم ما في هذه الأبيات من استعطاف ورجاء ووصف للمعاناة؛ فإن الشاعر برر ذلك، وقصد منه كما قال:" تسجيل هذه الحقيقة تاريخياً في صورة ضراعة واسترحام، على قدر ما كانت تلهمنا الظروف يومئذٍ. وكنت أرى أني بذلك الوصف الرقيق الحزين، وإن جعلته موجهاً للإمام فهو يستدر عطف الشعب كنتيجة طبيعية للوصف الشاعري المؤثر كما كنت أرى أن الشعب في هذه المرحلة من حياته يمكن التأثير عليه من الناحية العاطفية البسيطة دون الجانب العقلي الذي لم يبلغ فيه رشده يومئذ "[26]

ولئن كان الاستعطاف نجح في تخليصه من السجن، فإن الأوضاع كما هي على سوئها، مما تطلّب مواصلة المديح، وإن باتجاه الإمام المنتظر أحمد ولى العهد، وفي المديح الدعوة إلى التقدم والتجديد، وبعث روح المجد والحضارة في نفسه حتى لا يكون شأن حكمه كأبيه ، ومنها:

رَبَّتكَ أُمتكَ التى تَرجُو بِمَا
فَعَلَتهُ مَجداً فِى يَديكَ يُحَقَّقُ
قَدْ تُخفِقُ الأفرَاد فِى أُمنيَّةٍ
أمَّا الشُّعُوبُ فَلن تَرَاهَا تُخفِقُ
خُذ بِالقُلوبِ فَفِى يَديكَ زِمَامُهَا
وَالقلبُ يُقرَنُ بِالوَلاءِ وَيُوثَقُ
أنتُمْ لَنَا آلَ النَّبِى سَفِينَةٌ
وَالأرضُ طُوفَانٌ عَلينَا مُحدِقُ

وَالمَوجُ قَد بَلَغَ السَّمَاءَ وَلَمْ نَجدْ
قَطرَاً مِن الأمواَجِ فِينَا يُهرَقُ
يَا حَامِلَ الشَّعبَ الكَبِير بِقلبِهِ
الشَّعبُ فِى طَيَّاتِ قَلبِكَ يَخفِقُ
جَدِّد لَهُ عَصرَ الجُدودِ بِعزمةٍ
لَو مَسَّتِ المَاضِى لَجَاءَكَ يُشرِقُ
وَارفَع عَلى مَتنِ السَّماءِ قِلاعَهُ
فَالأرضُ تُوطَأُ بِالنِّعَالِ وَتُطرَقُ[27]

أو قوله أيضاً حاثّاً الإمام وولى عهده على تحقيق آمال الشعب:

يَا آلَ يَحيَى سَلامٌ مِن رِيَاضِ نُهَى
يَنهَلُّ مِسكٌ عَليكُم مِنهُ مِدرَارُ
كَم كَابَدَ النَّاسُ فِى لَيلٍ أنَاخَ بِهِم
كَأنَّمَا [ضَاعَ إصبَاحٌ وَإسفَارُ] [28]
وَأنَّكم مِن ضَلالِ الغَربِ مُعتَصَم
وَأنَّكُم لِقُصُورِ المَجدِ عُمَّارُ
وَجِئتَ يَا نَاصِرَ الإسلاَمِ تَبعَثُهُ
كَأنَّمَا أنتَ لِلإسلاَمِ تِكرَارُ
بَعثتَ شَعباً دَفِيناً كَانَ مُنطَبِقَاً
عَليهِ تُربٌ وَأشوَاكٌ وَأحجَارُ
يَرى بِوَجهِكَ آمَالاً تُسجِّلُهَا
لَنَا شُهورٌ وَأعوَامٌ وَأعصَارُ[29]

والشاعر في مدحه " لم يستخدم مديح ولى العهد وبيان رفعته وعلو منزلته إلا من خلال تذكيره بأنه نال ما نال بقربه من الشعب، وأنه باعثه بعد الممات، وأمله في التجديد، ولا تخلو أبياته من الإشارة إلى قدرات الشعوب وصعوبة خداعها، وأحيانا التعريض بأسلوب أبيه الإمام يحيى في الحكم"[30].

كما أن الشاعر لم يكن يفوت فرصةً للنصح المعقود بالأمل، فعندما أوفد الإمام يحيى ابنه الأمير سيف الإسلام إلى اجتماع الدول العربية إثر العدوان على برلمان سوريا سنة 1945م ، كان ذلك الخروج محاولة للتفاؤل عند الشاعر والأحرار بتفاعل الدول العربية مع قضيتهم، والنظر إلى وضع بلادهم، كما أن خروج الأمير، ورؤية العالم خارج أسوار المملكة يمثل انقلاباً على رجعية والده الإمام يحيى، وربما يترك أثراً فيه، لذا أرسل الشاعر تأييده وتشجيعه للأمير ليتحقق شيء من ذلك:

يَا سُمُوَّ الأَمِيرِ خَطوَتُكَ الكُبـ
رَى تُعَزِّى قُلوبَنَا الأَسوَانَة
أَنتَ صَوتُ الشَّعبِ اليَمَانِي المُدوِّي
أنتَ أقوَى أحدَاثِهِ الرَّنَانَة
أنتَ بَابَ العَصرِ الذِى يَرقُبُ الثَّارِ
خُ مِن ضَوءِ فَجرِهِ مَهرَجَانَه
أنتَ نَبعُ الحَياةِ فَجَّرَهُ اللـ
ـهُ لإسعَافِ أُمَّةٍ ظَمآنَة
وَتحدَّثْ عَن شَعبِكَ الصَّامِتِ المَكبُو
تِ إذ لَيسَ يَستَطِيع الإبَانَة[31]

وهكذا اتسمت القصيدة السياسية بالمهادنة للحكام وإبداء الولاء والتقرب، والمبالغة في المدح والوصف لحدٍ كبير، في الفترة من نهاية سنة 1941م وحتى منتصف سنة 1944م ، وهي فترة قصيرة مقارنة بالفترة التي تليها، دلالةً على أنها كانت سمةً مرحلية اضطر الشاعر إليها، وابتغى من ورائها تحقيق أدوار معينة. كما أنها لا تخلو من الصدق العاطفي المخدوع ، خصوصاً نحو ولي العهد أحمد.

وقد تمثلت في اتجاهها بالخطاب نحو الحكام فقط، ولم تتجه للشعب بشكل مباشر وإن كان صداها هو الذي يصل للشعب في بعض الأحيان، كما في قصيدة استعطاف الإمام يحيى من السجن.

على أن القصيدة السياسية المهادنة اتسمت بالجودة الفنية، وحسن السبك، وبراعة التصوير، وذلك نابع من طبيعة المهادنة والاستقرار، والرغبة في الكسب العاطفي كمدخل للمكاسب الأخرى.

2 . التــمـرد :

بانتقال الشاعر إلى عدن وخروجه من بلاط ولي العهد . إثر التهديدات وفشل الهدنة بين الطرفين .[32]، تمردت القصيدة السياسية المهادنة، وانتقلت لمرحلة الهجوم والتحريض والدعوة للثورة.

وما كان لها أن تنتقل دون المرور بالتجربة الأولى التي مثلت الأساس، وما فيها "من استعطاف الشعر بكل ما فيه من تأثير عاطفي شديد"[33]. ذلك أنه يُنظر إلى التمرد ـ حد تعبير الشاعر عبد الوهاب البياتي ـ " كحلقة أولى في العملية الثورية... ولكن التمرد لا يكون منطقياً ولا يكون إنسانياً إن لم تكمله الثورة. الثورة ضد الواقع القديم كانت بالنسبة إلى الشاعر عملية ديمومة للتمرد وتطوير له. هي عملية تتجاوز رفض الواقع إلى محاولة تقويضه وبناء واقع جديد"[34].

وقد تمثلت القصيدة السياسية عند الزبيري حال تمردها ـ بدءاً من سنة 1944م وما بعدها . في التوجه بالخطاب نحو الحكام والشعب في آن، وأخذت في ذلك عدة اتجاهات يمكن أن نجملها في الآتي:

أ ـ المواجهة والإنذار:

عمدت القصيدة السياسية إلى مواجهة الحكام بقوة بعد التخفي وراء المدح، في مسلك آخر يكشف طبيعة حكمهم ومدى استبدادهم وسوء فعالهم، ويوضح حقيقة ما يجرى للشعب ويعانيه. وفي أول قصيدة تمرد بعد الفرار يقول الشاعر . وقد علت نبرته واختفى لينه . فاضحاً ومتوعداً:

فَيَا مَلِكاً لَجَّ فِي بَطشِهِ
وَدَاسَ البِلادَ وَأخنَى بِهَا
وَدبَّ لأُمَّتِهِ فِي الظَّلام
دَبِيبَ اللُّصوصِ لإسلاَبِهَا
وَذرَّ الغُبَارَ بِأجفَانِهَا
وَصَبَّ السُّمُومَ بِأعصَابِهَا
نَهضتَ لِتَّخْرِيبِ عُمرَانِهَا
وَقُمتَ لِتَحطِيمِ ألبَابِهَا
وَوَطَّدتَ عَرشَكَ فَوقَ القُبورِ
وَأزعَجتَ رِمَّةَ أصحَابِهَا
وَشَيَّدتَ مَملَكةً لِلفَناء
تَقومُ القِيامَةُ مِن بَابِهَا
أَلَمْ تَخْشَ مِن أُمَّةٍ أَصْبَحَت
إليكَ تُكشِّرُ مِن نَابِهَا؟
وَتَزأرُ غَضبَى زَئِيرَ الأُسُود
وَأنتَ المَلُومُ بِإغضَابِهَا
سَتلقَى [مَغبَّة][35] مَا قَدْ صَنعتْ
وَتجنِى المَخالِبَ مِن غَابِهَا[36]

واستمر هجوم الشاعر على الأئمة وفضحهم، ومن منطلق الفكر الديني أيضاً . الذي بدأ به النصح . كونهم يعتبرون أنفسهم حماة الشريعة الإسلامية وحراسها، وحكمهم مستمد من وحيها وتعليماتها؛ في حين أنهم يتجاوزون عدل الإسلام وحريته ،ويستغلونه استغلالاً سيئاً في ممارساتهم . كما يرى الشاعر . الذي وقف فى وجه تألههم المزعوم ، وقال مخاطباً الإمام مستفهماً :

أيُّهَا الظَّالِمُ الذى يَتَبَاهَى
أنَّهُ ابنُ الوَحي أو سِبطُ طَهَ
تَشهَدَ النَّاسَ يَركَعُونَ حَواليـ
ـكَ دُهُورَاً وَيَخفِضُونَ الجِبَاهَا
تَتَوخى بأنْ تَكونَ شَرِيكَ اللـ
ـه فِيهِم أوْ تَكونَ اللهَ
إنْ تَكُنْ أنتَ مُؤمِناً بِإلهٍ
فَلِمَاذا تَكُون أنتَ الإلهَ[37]

وفي معرض هجوم الشاعر المتصاعد على الإمام ومواجهته بأفعاله ؛ فإنه يبرر ذلك ويرجعه إلى جور الإمام وظلمه ، في حين أن الشعب لم يرتكب ما يبرر البطش به والخسف، وكان بإمكان الإمام أن يكون بين شعبه أميراً عظيماً لو عدل وأعطاه حريته وكرامته، لكن خابت نظرة الشعب في الإمام، ولم يعد يأمل فيه خيراً، يقول الشاعر:

قَسَوتَ فِى البَطشِ يَا هَذَا بِلا ثُرّهِ
كَانَتَ لَدينَا وَلا إثمٍ كَسَبنَاهُ
كُنَّا نَراكَ أَبَاً بَرَّاً، وَمُذْ لَمَعَت
سُيُوفُ بَطشِكَ رَدَّت مَا زَعمنَاهُ
مَا كَانَ أجدَرُ أنْ تَسمُو إلى المَثل الـ
أَعلَى وَتَفهمَ شَيئَاً مِن مَزايَاهُ
إذاً لَكُنتَ "أَمِيرَ المُؤمِنِينَ" كَما
يَقضِى لَكَ الحَقُّ فِي أَسمَى قَضَايَاهُ
لَكن تَجَنَّيتَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ أَحدَاً
إلاَّ وَأفسَدتَ دُنيَاهُ وَأُخرَاهُ
أفكَارُكَ السُّودُ لَمْ تَترُك لِشَعبِكَ مِن
ضَوءٍ تَجُولُ بِهِ فِي الأَرضِ عَينَاهُ
وَقدْ تَمكَّنتَ أَن تَقضِى قَضَاءَكَ فِي
شَعبٍ يَسِيرُ بِلِيلٍ مَا تَعدَّاهُ
تَسُومُنَا الخَسف حَتَّى لَيسَ فِي يَدِنَا
إلاَّ حَدِيد بِلا ذَنبٍ حَملنَاهُ[38]

كما يتعجب الشاعر كيف أن النصح لم يُجْدِ مع حكامه، وأن الجهود المسالمة التي بذلها الأحرار لم يُصغَ إليها، ولم تحركهم النداءات والصيحات. فيواجههم محذراً أن الشعب وإن كان يغط في نوم عميق سيصحو يوماً، وسينتقم من ظُلاَّمه وحينها لن ينفع الندم:

أَيُّهَا الظَّالِمُونَ هَل ذِى صُخُورٌ
مَا هَزَزْنَا مِنكُم وَمَا نَادَينَا
إحذَرُوا يَومَ الشَّعب يَومَ يُلا قِيكُم
وَيُعطِى الدَّرسَ الذى أعطَينَا
يَومَ لَنْ تَلتَقُوا بِمَن يَمنَح النُّصحَ
إليكُم وَمَن يَسِيرُ الهُوينَا
وَيَقُولُ النُّوَّامُ: هَا نَحنُ أحرَارٌ
سَحقنَا هَولَ الدُّجَى وَصَحَونَا
وَيَقُولُ الطُّغَاةُ يَا ليتَنَا كُنَّا
سَمِعنَا صَوتَ الهُدَى وَارعَوَينَا[39]

ويستمر الشاعر في مواجهة الإمام وإنذاره، ومن ذلك قوله في قصيدة (إنذار)،أنشأها بعد أن هدم الإمام بيت(زيد الموشكي)[40] أحد الأحرار الذين وقفوا في وجه الإمامة:

أنشَأتَ يَحيَى سُنَّةَ التَّخرِيبِ
فَابشِر بِيومٍ لِلدَّمَارِ قَرِيبِ
سَتُخَرَّبُ الأَيامُ هَيكَلَكَ الذى
رَمَّمتَهُ بِجرَائِمٍ وَذُنُوبِ
وَتُحَطِّمُ التَّاجَ الذى كَلَّلتَهُ
بِرُكَامِ أنقَاضٍ وَدمعِ حَـرِيبِ[41]

ويُصَعِّد الشاعر من لهجته محذراً الإمام؛ من أنه لن يفلت من غضب الشعب، ولو تملَّك كل فنون الوقاية والحذر، مادام في غيه، ولم يستجب لشعبه ولم يُمَكِّنه من حقوقه:

فَتَأَلَّه.. وَخُذْ مَكَانَكَ فَوقَ الشَّمـ
ـسِ فَـــوقَ العَلياءِ فَوقَ البَرِيَّه
وَاتَّخِذْ سُلَّماً مِنَ الأنجُمِ الزُّهـ
ـرِ وَنَعلاً مِن أكبُدٍ بَشَرِيَّه
وَتَنَمَّر وَابعَث لَنَا هَولَ عَينَيـ
ـكَ خِلالَ الأشِعَّةِ الكونية
حَيثُمَا تَختَبِئ سَيُدرِكُكَ الشَّعـ
ـبُ وَلو فِى الكَوَاكِبِ الرُّوسِيَّه
وَتَفَجَّرْ صَوَاعِقَاً وَتَحوّ
ل طَبَقَاً طَائِراً أَوِ ارقِ رُقْيَه
وَتوَعدْ مَا شِئتَ وَاقتُلْ وَدَمِّـ
ـر وَاستَعِن بِالجَحَافِلِ الدَّولِيَّه
لَنْ يُوقِّيكَ غَضبَةُ الشَّعبِ إلاالـ
ـشَعبُ إنْ سِرتَ فِى الطَّرِيقِ السَّوِيَّه
وَتَعقَّلتَ وَاستَجَبتَ إلى الشَّعـ
ـبِ وَأَسلَمتَ فِى يَديهِ القَضيَّه[42]

وهكذا كانت القصيدة السياسية في مواجهة الأئمة . وقد جردتهم من ألقابهم، وانقلبت عليهم، وتحولت إلى النقيض مما قدمته لهم في السابق، فعلا صوتها،

وتغير مضمونها، تفضح أعمالهم، وتكشف طغيانهم، وتتذرهم عاقبة ما صنعوا.

ب . الاستنهاض والبعث :

بالمقابل اتجهت القصيدة السياسية نحو الشعب لأول مرة ، باعتباره صاحب القضية، والقاعدة العريضة للتغيير، ومصدر النضال . فبدأت في استنهاضه وتحفيزه، تفتح عينه على المأساة، وتستنهض قواه الكامنة ليثور على واقعه البائس، وينفض عنه غبار النوم.

وفي هذه المرحلة " يتجه الشاعر إلى جماهير شعبه الغافية بنبرة عالية توشك في بعض الأحيان أن تكون صراخاً، لا يبغي من ذلك سوى تنبيهها إلى واقعها الأليم، وحثها على النهوض من كهوف التاريخ، والخروج إلى الحياة "[43] ولنا أن نقدر جسامة هذه المهمة، إنها استنبات الحياة في الكائن الذي فقد كل مقومات الحياة[44].

وبالتزامن مع هجوم القصيدة على الحكام وبذات النبرة المرتفعة؛ يعلو خطابها المباشر باتجاه الشعب، لينهض للكفاح، ويستيقظ من نومه، حتى يُفزع الطغاة الذين ظنوا أنه قد مات، ولكي يلحق بركب التطور، ويخلع عنه الأغلال وحياةً أقل من الآدمية. والقصيدة بذلك مدركةً دورها المحوري، وواجبها الأخلاقي نحوه :

نَاشَدتُكِ الإحسَاسَ يَا أَقلاَمُ
أَتُزَلزَلُ الدُّنيَا وَنَحنُ نِيَامُ
قُم يا يَرَاعُ إلى بِلادِكَ نَادِهَا
إنْ كَانَ عِندَكَ لِلشُّعوبِ كَلامُ
فَلطالَمَا أشْعَلتَ شِعرَكَ حَولَهَا
وَمِن القوَافِي شُعلَةٌ وضرَامُ
يَا قَومِ هُبوا لِلكِفَاحِ وَنَاضِلُوا
نَّ المُنَـامَ عَـنِ الـذِّمامِ
حَرَامُ
تَسْتَسلِمُونَ إلى قساةٍ مَا لَهُم
خُلُقٌ، وَلا شَرعٌ ، وَلا أحكَامُ
وَلقدْ صَبرتُم ثُلثَ قرنٍ لَمْ يَصُن
أعرَاضكم صَبرٌ وَلا استِسلامُ
لَنْ يَبرَح الطُغيَانُ ذِئباً ضَارِياً
مادَامَ يَعرِفُ أنَّكُم أغنَامُ
فَتَكلَّمُوا كَيمَا يُصدِّق أنَّكُم
بَشرٌ، وَيَشعُر أنَّهُ ظَلاَّمُ
وَتَحرَّكُوا كى لاَ يَظُنَّ بِأنَّكُمْ
مَوتَى، وَيحسَبُ أنَّكُم أصنَامُ
طَارَ الوَرَى مُتسَابِقِينَ وَمَالَكُم
فِى السّبقِ أَجنِحَةٌ وَلا أقدَامُ
إنْ لَمْ تَطِيرُوا فِى السَّمَاءِ فَكَيفَ لَمْ
تَمشُوا وَتَمشِى الشَّاءُ وَالأنعَامُ[45]!

وما سبق من أبيات يمكن اعتبارها "ضرباً من التقريع للشعب وأسلوباً من أساليب الكشف والتعرية للواقع المأساوي الذي عانى منه المواطن، ولما انطوت عليه أساليب الحكم الجامد من قسوة وابتزاز ومن رغبة فاسدة في إذلال الشعب وإخضاعه.. كما تجمع بين عنصري السخرية والتهكم من الملايين الضائعة والمغيبة كأجدى وسيلة استفزازية للدفع بهذه الملايين لكي تدرأ عن نفسها الجمود وتمضي إلى اجتراح الحياة "[46] ، وهذا الدور والمهمة التي اضطلع الشاعر بها عبر قصيدته لاستنهاض الشعب ؛ ما كان لها أن تتأتى لولا حجم المأساة التي يعانيها الشعب لدرجة الموت، فالدمار قد حلَّ بالأنفس والعزائم:

وَهَالَنِى شُؤمُ مَا استَكشَفتُ مِن جُثَثٍ
قَدْ كُنتُ أحسَبُهَا مِن قَبلُ تِيجَانَا
فَرُحتُ أُشعِلُ بِالقِيثَارِ مَقبَرَةالـ
مَوتَى وَأنفُضُ أغلاَلاً وَأكفَانَا
أصبُو إلى أُمَّتِى حُبَّاً وَأبعَثُهَا
بَعثَاً وَأبنِى [لَهَا][47] بِالشِّعرِ بُنيَانَا[48]

ومن منطلق الدين أيضاً ـ الذي تستغله الإمامة لإخضاع الشعب . يقدم الشاعر لشعبه الرؤية السليمة وفهمه للدين، حتى يدرك الشعب ذلك وينهض من

عثرته، فليس الإسلام خضوعاً للطغاة، ولا هو استعباد أو تقديس لكل ظلم، بل إن كل ذلك يعتبر خروجاً على الفهم الصحيح للدين وعودة للجاهلية:

لَيسَ فِى الدِّينِ أنْ نُقِيمَ عَلى الضَّيم
وَنَحنِى جِبَاهَنا لِلدَّنِيَّه
لَيسَ فِى الدِّينِ أنْ نُؤَلِّهَ طُغيَانَاً
وَنَعنُو لِلسُّلطَةِ البَربَرِيَّه
لَيسَ فِى الدِّينِ أنْ نُقدِّسُ جَلاَّدَاً
وَيُمنَاهُ مِن دِمَانَا رَوِيَّه
لَعَنَ اللهُ كَلَّ ظُلْمٍ وَجَورٍ
لَعنَةً فِى كِتَابِهِ سَرمَدِيَّه
فَليَمُتْ مَن يُضفِى عَلى الظَّالِمِ الطَّاغِى
رِدَاءَ الجَلالِ وَالقُدسِيَّه
الرُّكُوعُ الذَّلِيلُ فِى غَيرِ وَجهِ اللهِ
رَجَعى بِنَا إلى الوَثَنِيَّه[49]

ويستنهض الشاعر شعبه عبر لمس جانب واقعه المعيش، مذكراً إياه بحاله البائسة، وكيف أنه لم ينل شيئاً مقابل ما يمنحه لحكامه، مبتدراً إياه للوقوف خلف الأحرار والالتحاق بركبهم .

وهو يذكره بآلامه ؛ يُعرِّض بقسوة الأئمة ونهمهم في الاستبداد:

يَا شَعبَنَا نِصفُ قَرنٍ فِى عِبَادَتِهِم
لَمْ يَقبَلُوا مِنكَ قُربَاناً تُؤَدِّيهِ
رَضِيتَهُم أنتَ أرْبَاباً وَعِشتَ لَهُم
تُنِيلُهُم كُل تَقدِيسٍ وَتَألِيهِ
لَمْ تَرتَفِع مِن حَضِيضِ الرِّقِّ مَرتَبَةً
وَلمْ تَذُقْ رَاحَةً مِمَّا تُقَاسِيهِ
وَلا استطَاعَت دُمُوعٌ مِنكَ طَائِلَةٌ
تَطهِير طَاغِيَةٍ مِن سَكرَةِ التِّيهِ
فَمَا صُرَاخُكَ فِى الأَبوَابِ يَعطِفُهُ
وَلا سُجُودُكَ فِى الأَعتَابِ يُرضِيهِ
لاَ عُنقُكَ الرَّاكِعُ المَذبُوحُ يُشبِعُهُ
بَطشَاً، وَلا دَمُكَ المَسفُوح يُروِيهِ
فَامدُد يَدَيكَ إلى الأَحرَارِ مُتَّخِذَاً
مِنهُم مَلاذُكَ مِن رِقٍّ تُعَانِيهِ[50]

ويزيد الشاعر في تحفيز شعبه، ومحاولة الأخذ بيده، فيحثه بأسلوب استفهامي متى يغادر هذه الحياة ، وقد بذل له الأحرار كل غالٍ، فهل يريد البقاء على هذه الحال؟:

أَيُّهَا البَائِسُ الخَمِيصُ مَتى تَنـ
ـهَضُ مِن كَبوَةِ الشَّقَاءِ المَدِيدِ
قَد غَذَونَاكَ مِن دِمَاءِ البُهَالِيـ
ـل[52] وَمِن أَكبُدِ المُلُوكِ الصِّيدِ
فَلِمَاذَا نَرَاكَ نِضوَاً[51]كَمَا كُنتَ
فَهَل أنتَ طَامِعٌ فِي المَزِيدِ؟[53]

وفى إطار حديث الشاعر عن المستضعفين في وطنهم ، يتوجه الشاعر إلى الفلاح . وأغلب أبناء شعبه يعملون بالزراعة في ذلك الوقت بالذات . وكيف أن هذا المزارع المغلوب على أمره يبذل جهده وعرقه من أجل سعادة غيره، بينما هو لا ينال شيئاً سوى العناء والازدراء، فهل هذا الأمر مقبول؟.

هنا مقارنةٌ يعقدها الشاعر لشعبه لتحريضه وتحفيزه:

إذَا المُزَارِعُ الشَّقِي
فِي أَرَاضِي السُّعَدَاء
لَمْ يَلقَ حَظَّاً مِنْ حَيَاةٍ
أَوْ نَصِيباً مِن غِذَاء
وَلَمْ يَنَلْ مِنْ جُهدِهِ
غَيرَ احتِقَارٍ وَ ازدِرَاء
وَلِم يُعَوَّض مِن دُمُوعٍ
وَدَمٍ بِجرعَةِ مَاء
فَأحرِقُوا سَنَابِلَ القَمحِ
بِأرضِ الأغنِيَاء
وَدَمِّرُوا مَا تَجِدُونَ
مِن حُقولِ اللُّؤمَاء
الشَّارِبينَ العَذبَ ظُلْمَاً

مِن دِمَاءِ البُؤساءِ

الطَّاعِمينَ السُّحتَ مِن

لَحمِ الجِياعِ التُّعَسَاء

المَالِئِينَ لِلقُبُورِ

مِن ضَحَايَا الأَبرِيَاء

الزَّاعِمينَ أَنَّهُم

أشرَفُ مَنْ تَحتَ السَّمَاء[54]

ومع أن استنهاض الشعوب، ورفع وعيها عملية شاقة ومضنية، وتحتاج لجهود هائلة، فـ " إن الزبيري لم يعرف اليأس . رغم وجود أسبابه ومظاهره في كل شيء يتصل به ـ .. وأنه عندما كان يغضب من الشعب يتوجه إلى مناجاته، ويبعث في روحه طاقة التحدي وعنفوان المجابهة.. وكل حركة مهما كانت صغيرة أو كبيرة كان يتحركها الشعب نحو الغد الأفضل كانت تبعث الإيمان في قلبه والإصرار في عزيمته"[55] يقول :

هُوَ الشَّعبُ حَقٌ مَشِيآتُهُ

صَوَابٌ وَرُشدٌ خَطِيآتُهُ

لَهُ نَبضُنَا وَأَحَاسِيسُنَا

فَمَا نَحنُ إلاَّ نَبَاتَاتُهُ

لَهُ دَمُنَا وَلَهُ دَمعُنَا

يُغَذَّى عَليهِ وَيقتَاتُهُ[56]

ويستمر الشاعر في استنهاض الشعب و بعثه، ويبدو كما لو أنه يلقي بياناً أخيراً، فيحدد بوضوح ألاَّ حياة بدون حرية، فالموت أشرف، ولم يعد هناك مجال للتأخر أو التقاعس، فإما التقدم أو الفناء. كما أنه لم يعد هذا الزمن موئلاً للذل والعبودية بعد الإسلام والتحرر:

لِنَمُتْ أوْ نَعِشْ عَلى الأَرضِ أحرَا

رَاً وَلاَعَاشَ مَن يَستَسِيغُ الإهَانَه

إنَّ شَعباً يَرضَى الحَيَاةَ سَجِيناً

لاَ يُسَاوِى فِى قِيمَةٍ سَجَّانَه

وَحَيَاة تُصَانُ بِالهَونِ وَالإذلاَ

لِ لَيستْ خَلِيقَةً بِالصِّيانَه

وَدماء تَنمُو عَلى الضَّيمِ رِجسٌ

نَجِسَاتٌ كُرَاتُهَا خَوَّانه

كُلُّ شَعبٍ مَحَى أَسَاطِيرَهُ السُّو

دَ وَوَارَى تَحتَ الثَّرى أوثَانَه

قَدْ تَلاشَت كُلّ العُصُورِ الذَّلِيلاَ

تِ وَبَادَت كُلّ الشُّعُوبِ المُهَانَه

وَاستَحَالَت عِبَادَةُ النَّاسِ لِلنَّا

سِ وَأمسَى حَملُ القُيودِ خِيَانَه[57]

ويبقى إيمان الشاعر بأن الحق لن يضيع، وأن الشعب لن يظل على حاله المؤلم، بل سينهض ويثور، فلن تضيع الجهود التي بذلت:

أَمَنتُ أنَّ لَنَا حَقّاً وَأنَّ لَنَا

شَعَباً سَينهَضُ مِن كَابُوسِنَا الطَّامِى

وَأنَّ في ظُلُمَاتِ الغِيلِ[58]مَأسَدَةً

غَضبَى عَلى كُلِّ خَوَّانٍ وَظَلاَّمِ[59]

وهكذا استمر الشاعر عبر قصيدته السياسية في استنهاض شعبه وبعث قواه الكامنة، يبدد العتمة، ويبعث الأمل، ويزيل الرواسب العالقة في عقول أبناء شعبه وتفكيرهم:

وَعِشتُ مَعَ الشَّعبِ فِى خَطبِهِ ال

مَرِيرِ وَآلامِهِ الحَاطِمَه

أُثيرُ كَوَامِنَ أعمَاقِهِ

وَأُوقِظُ عِزَّتَه النَّائِمه

وَأغزُو دَيَاجِيرَ أغوَارِهِ

فَأُشعِلُهَا بِالرُّؤَى الحَالِمَه

وَأطرُدُ أشبَاحَ كَابُوسِهِ ال

رَّهِيبِ وَأهوَالِهِ الجَاثِمَه[60]

لكي يثور على واقعه المؤلم، ويسترد الحرية المسلوبة، والكرامة المنتهكة، يعيش حياةً كريمةً، ويتمتع بالعدل والرخاء.

جـ . الحشد والتوجيه:

تولت القصيدة السياسية أيضاً مهمة تجميع جهود أبناء الوطن، وحشد طاقاتهم وتوجيهها، في إطار نضال الأحرار، نحو جهة واحدة هي مقاومة الظلم والاستبداد المتمثل في الحكم الإمامي.

فوجدنا الشاعر يدعو للنضال والوقوف مع الحق، والتكتل فى حزب الأحرار، الذي أُعلن عنه في (عدن)، فبالتوحد تنجح الجهود، وتُحقق الآمال، ويسقط الظلم:

جُودُوا بِأنفُسِكُم لِلحقِّ وَاتَّحِدُوا
فِى حِزبِهِ وَثِقُوا بِاللهِ، وَاعتَصِمُوا
لَمْ يَبقَ لِلظَّالِمينَ اليومَ مِن وَزرٍ
إلاَّ أُنُوفٌ ذَلِيلاَتٌ سَتَنحَطِمُ
إنَّ اللُصُوصَ وإنْ كَانُوا جَبَابِرَةً
لَهُمْ قُلوبٌ مِنَ الأَطفَالِ تَنهَزِمُ
وَالشَّعبُ لَو كَانَ حَيَّاً مَا استَخفَّ بِهِ
فَردٌ وَلا عَاثَ فِيهِ الظَّالِمُ النَّهِمُ[61]

وأياً يكن الظلم والطغيان، فإذا تضامنت الأجساد، وتعانقت القلوب، وتوحدت المشاعر على عدالة القضية ونبل المقاصد؛ فإنه لا يستطيع الوقوف أمام وحدتها وما ترنو إليه، وذلك ما عَناه وأراده الشاعر يوم أن افُتتحت دار الجمعية اليمانية الكبرى بعدن، كتكتلٍ جديد للأحرار يهدف إلى لم شمل أبناء اليمن:

هَا هُنَا أَحرَارُ شَعبٍ يَأتَمِر
وَعُقُولٌ نَيِّرَاتٌ تَزدَهِر
وَمَشَاعِيلُ قُلُوبٍ تَلتَقِى
وَبَرَاكِينُ شُعُورٍ تَنفَجِر
هَاهُنَا العَزمُ الذِى لا يَنثَنِى
هَا هُنَا البَأسُ الذِى لاَ يَندَثِر
هَا هُنَا الحَقُّ الذى دَانَ لَهُ
كُلّ شَيءٍ دُونَهُ حَتى القَدَر
أُمَّةٌ شَاءَت بِأن تَحيَا فَمَن
يَا تُرَى يُرغِمُهَا أنْ تَنتَحِر
بُعِثَتْ مِن رَمْسِهَا جَبَّارَةً
تَتَنزَّى فِى حَمَاسٍ مُستَعِر
حَطَّمَتْ أصفَادَهَا تَمشِى إلى
حَقَّهَا مَشى العَزِيزِ المُقتَدِر[62]

ويتوجه الشاعر إلى الشباب كطاقةٍ فوّارةٍ، وهممٍ عاليةٍ ملؤها القوة والحماس، يستحثهم ويستنهضهم لينالوا الحرية، ويتأملوا ما حولهم ويستخلصوا العبرة، ويُسخروا طاقاتهم لإزالة الجور عن أوطانهم:

يَا شَبَابَ الجِيلِ يَا أبطَالَه
أتَنَامُونَ عَلى وَخز الأُبُر[63]
أَتَظَلُّونَ عَبِيداً لِلعَصَا
أَتُرِيدُونَ لَنا عَيشَ البَقر
أُنظُرُوا مَا حَولَكُمْ مِن عَجَبٍ
وَادرُسُوا مَا فِى يَديكُمْ مِن عِبَر
تَجِدُوا الأرضَ جَمِيعاً حُرَّةً
لاَ تَرى القَيدَ بِهَا إلاَّ انكَسَر[64]

وفي إطار حشد الجهود المختلفة، لا ينسى الشاعر أن يوجه الدعوة كذلك حتى للغاضبين على الأحرار، ومن يتهمونهم باحتكار النضال، ويقفون منهم موقف المثبط، فيدعوهم للنضال كي تتكامل الجهود في اتجاه واحد ، بعيداً عن الإقصاء أو الاحتكار، أو حتى البحث عن الشرف الأول ؛ فالمهم هو مجابهة الطغيان:

أيُّهَا الزَّاعِمونَ أنَّا احتَكَرنَا
دَعوَةَ الحَقِّ وَحدَنَا وَانزَوَينَا
مَا احتَكَرنَا نِضَالَنَا بَلْ دَعَونَا
فَرَفَضتُم أنْ تَفهَمُوا مَا عَنَينَا
أنتُمُ..لَيس نَحنُ.. غِبتُم لِيبقَى
شَرَفُ الحَقِّ كُلهُ فِي يَدينَا
يَعلَمُ اللهُ أنَّنَا نَتَمَنَّى
لَو رَجَعتُم بَعدَ العُقُوقِ إلينَا
بَلْ وَنَدعُوا أن تَسبِقُونَا وَتَجنُوا
ثَمَرَاتِ الخِتَامِ مِمَّا ابتَدَينَا[65]

أما الأحرار؛ فإنهم في المقدمة ،وهم أصحاب الراية، فالجهد مضاعف عليهم والحِمل كبير، والمهمة أثقل،

لذا كان لابد من توجيههم بالصبر والجَلَد ،وتحفيزهم ليوم النصر، والانعتاق من ربقة العبودية للطغيان :

تَجَلُّدَاً أَيُّهَا الأحرَارُ إِنَّ لَكُم
وَتَرَاً عَزِيزَاً عَلينَا مَا دَفَنَّاهُ
إِنَّا وَهبنَا شَبَابَ العُمرِ لِلوَطَنِ
الدَّامِى وَإِنقَاذِ عَطشَاهُ وَغرقَاهُ
لاَبُدَّ أَنْ تُدرِكُوا يَومَ الخَلاصِ وَمَا
بُدّ لَنَا أَنْ نُلاقِى مَا طَلَبنَاهُ[66]

ويتجاوز خطاب القصيدة بالتوجيه الإنسانَ ليصل إلى المكـــان، فألفينـــا الشـــاعر يخاطـــب المدينـــة (صنعاء)عاصمة الحكم .كناية عمن بها .ويعاتبها لقبولها الظلم، واحتضانه بين جنباتها :

"صَنعَاءُ" وَيحَكِ مَا لِلظُّلمِ قَدْ رَسَختْ
آثَامُهُ فِيكِ وَاستَشرَتْ خَطَايَاهُ
وَسَّعتِ صَدرَكِ لِلطُّغيَانِ يَصنَعُ مَا
يَهوَى وَعَينُكِ تَحمِيهِ وَترعَاهُ[67]

وهكذا تتكامل الجهود وتحتشد العزائم، تتقن استعدادها بالتوجيه السليم، وتروض نفسها، وتشحذ هممها. تومئ إلى الغد المشرق ،وترى من بين الركام يوم الاحتفال بفناء الطغيان الجاثم على صدرها:

حَشَدنَا العَزَائِمَ مِلءَ الصُّدُور
وَثُرنَا عَلى ظُلُمَاتِ القُبُور
وَرُحنَا نُرَوِّضُ أَجيَادَنَا
وَنَنسُجُ أَجنِحَةً لِلصُّقُور
وَنُوقِدُ أعصَابَنَا فِى الدُّرُوب
بَينَ الشِّعَابِ وَبَينَ الصُّخُور
وَنَدفَعُ أَيَّامَنَا الكَالِحَات
لِتَمشِى بِنَا تَحتَ عِبءَ العُصُور
وَنبذُرُ بَينَ شَتِيتِ الرُّفَات
حَيَاةً تَهُبُّ وَرُوحَاً تثور
وَأوفَى عَلى النَّاسِ فَجرٌ جَدِيد
تَرَاءَى لَهُم ضَوؤُهُ مِن بَعِيد
فَهَبُّوا يُعِدُّونَ أنفَاسَهُم
لِتُطلَقَ مِلء الفَضَاءِ المَدِيد
وَينتَظِرُونَ انهِيَارَ السُّجُون
وَسَحقَ القُيُودَ وَعِتقَ العَبِيد
وَيَحتشِدُونَ بِأروَاحِهِم
لِتَصنَعَ أحلاَمُهُم يَومَ عِيد[68]

وهكذا وجدنا القصيدة السياسية المتمردة تقوم بدور المتصدي المحذر للإمامة ،والكاشف المحرض للشعب، كما سعت للتحشيد حول القضية، واتجهت لمن يحيطها من فئات الشعب الفاعلة، وطبقاته المختلفة، واستخدمت رمزية المكان كذلك للتوجيه وإبلاغ الرسالة ذات المضامين النضالية التحررية، الداعية إلى الثورة وانتزاع الحقوق، الهادفة إلى صناعة واقع جديد.

الهوامش:

(1) (ابن منظور) أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (سوس)، مج 7، دار صادر، بيروت، 1968م.ص 301.

(2) (الفيروزابادي) مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ،مادة (السوس)،ج 2. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية في 1301هـ ، ط 1978م، ص 220.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج1،(المقدمة) . الهيئة العامة لقصورالثقافة ،القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة بولاق الأولى في1284هـ ، ط 2007م ، ص 159.

(4) د.أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي .دار نهضة مصر للطبع والنشر ،القاهرة ، ط2 ، د.ت، ص 7.

(5) أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني .مكتبة النهضة المصرية ، ومطبعة الاعتماد بمصر ، القاهرة ، د.ت ، ص3.

(6) د.أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي . مرجع سابق ، ص 8.

(7) المرجع السابق . ص8.

(8) أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني. مرجع سابق ، ص 8.

(9) عباس الجراري: في الشعر السياسي . دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1982م ، ص 9.

(10) المرجع السابق . ص 10.

(11) د.عز الدين إسماعيل : الشعر في إطار العصر الثوري . دار القلم ، بيروت، ط 1، 1974م ، ص 9.

(12) أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . مرجع سابق ، ص 4.

(13) عبده يحيى صالح الدباني: الشعر اليمني السياسي في الإسلام إلى نهاية العصر الأموي . جامعة عدن ، و دارالثقافة العربية ، الشارقة ، ط1 ،2002م ، ص 35.

(14) د.أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي . مرجع سابق ، ص 582.

(15) د.عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. المكتبة الأكاديمية، القاهرة ،ط 6، 2003م ، ص 322.

(16) د.عبد الرحمن محمد الوصيفي: نزار قباني شاعراً سياسياً . دارالفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2 ، 2002م، ص 101.

(17) نزار قباني: الكتابة عمل إنقلابي . منشورات نزار قباني ، بيروت ، ط 5 ، 2000م ، ص 14.

(18) أرسلت أول بعثة عسكرية إلى العراق سنة 1936م وكان من أعضائها عبد الله السلال، ومحي الدين العنسي ، وأحمد المروني، ثم تلتها بعثتان فيهما أحمد الحورش وأحمد الثلايا وغيرهم .

(19) محمد محمود الزبيري: الأعمال الشعرية الكاملة ، وزارة الثقافة والسياحة ،صنعاء ،ط 2004م . مقدمة ديوان ثورة الشعر. ص 44،45.

(20) المصدر السابق . ص43.

(21) السابق . ص43.

(22) نفسه . ص45.

(23) سورة طه : الآية 44.

(24) الزبيري: الأعمال الشعرية ،مقدمة ديوان ثورة الشعر . ص45،46.

(25) ينظر: عبد الرحمن محمد العمراني : الزبيري أديب اليمن الثائر. مركز الدراسات اليمانية ، صنعاء ، ط1 ، ص169،170.

(26) الزبيري: الأعمال الشعرية، مقدمة ديوان ثورة الشعر . ص 51.

(27) د.رياض القرشي: شعر الزبيري بين النقد الأدبي وأوهام التكريم، دارالطباعة الحديثة، القاهرة، ط 1، 1990م.ص 121 . 122.

(28) وردت كلمات شطر هذا البيت في القصائد المنشورة عند د.رياض القرشي ص/124 كالتالي:(صاغ اجناح و أسقار) ومعناها مضطرب وغير واضح ، بينما وردت هكذا عند العمراني ص/177 وهو الأقرب للصحة.

(29) عبد الرحمن محمد العمراني: الزبيري أديب اليمن الثائر. مرجع سابق، ص177.

(30) د.رياض القرشي: شعر الزبيري بين النقد الأدبي وأوهام التكريم . مرجع سابق ، ص 56.

(31) الزبيرى: الأعمال الشعرية، ديوان صلاة فى الجحيم .ص 138، 139.

(32) كانت تدور نقاشات فقهية وعلمية بين مجموعة الأدباء المقيمين عند ولي العهد بتعز، طرحت فيها مسائل جدلية لم ترق لولي العهد واعتبرها مساساً بالشريعة الإسلامية ،فهدد بقتل أصحاب هذه الأفكار العصرية كما وصفها فدبر الزبيري ومعه أحمد محمد النعمان فرارهما إلى عدن وكانت هذه نهاية العلاقة القلقة بين الطرفين .

ينظر في ذلك: أحمد محمد الشامي : رياح التغيير في اليمن . ط 1،1984م، ص 114،115.

(33) الزبيري: الأعمال الشعرية، مقدمة ديوان ثورة الشعر . ص46.

(34) ينظر : مجلة "الآداب" البيروتية . العدد /1، مارس 1966م ، ص 198.

(35) في طبعة الأعمال الكاملة (مغية)،ولعل الأنسب (مغبة).

(36) الزبيري: الأعمال الشعرية، ديوان صلاة في الجحيم. ص 223، 224.

(37) المصدر السابق . ص340.
(38) السابق . ص 269.
(39) السابق ، ديوان ثورة الشعر. ص 114، 115.
(40) زيد علي الموشكي : (1912. 1948م) شاعر ومناضل، ولد في مدينة ذمار وفيها نشأ وتعلم ،اشتغل بتدريس أبناء الإمام يحيى، ثم أسهم مع الأحرار في تأسيس حزبهم بعدن، أقدم الإمام على هدم بيته، وعقب فشل ثورة 48 ألقي القبض عليه وأُعدم.
(41) الزبيري: الأعمال الشعرية، ديوان نقطة فى الظلام. ص 422.
(42) المصدر السابق، ديوان ثورة الشعر. ص 104، 105.
(43) د.عز الدين إسماعيل : الشعر في إطار العصر الثوري . دار القلم ، بيروت ، ط 1 ، 1974م .، ص89.
(44) المرجع السابق . ص 89.
(45) الزبيري: الأعمال الشعرية ، ديوان صلاة في الجحيم . ص 225 وما بعدها.
(46) د.عبدالعزيز المقالح : من أغوار الخفاء إلى مشارف التجلي، دراسات ومتابعات نقدية . دار الكلمة، صنعاء، د.ت، ص185.
(47) في ديوان الشاعر وردت الكلمة (ذلها)، وهي لا تستقيم مع الوزن والمعنى، ولعل الأنسب كلمة (لها).
(48) الزبيرى: الأعمال الشعرية، ديوان ثورة الشعر. ص 165.
(49) المصدر السابق . ص 99.
(50) السابق ، صلاة فى الجحيم. ص 303، 305.
(51) النِّضو: المهزول من الحيوان، والمُجهَد من السفر. ينظر : المعجم الوسيط، مادة (نضا). ص 929.
(52) البُهلول:السيد الجامع لصفات الخير، والجمع (بهاليل). ولعل الشاعر يقصد بهم الأحرار. ينظر: المرجع السابق، مادة (بهلول). ص74.
(53) الزبيري: الأعمال الشعرية، ديوان ثورة الشعر. ص65.
(54) المصدر السابق، مقدمة ديوان نقطة فى الظلام. ص 419، 420.

ولعل الشاعر في هذه الأبيات . التي نقلها الدكتور عبد العزيز المقالح في مقدمة الديوان ولم تكتمل فيه . بدا متأثراً بثورة الفلاحين كما حصل في الإمبراطورية الرومانية في الفترة (1424ـ 1426م) نتيجة الاضطهاد القاسي والأوضاع المعيشية السيئة والاستعباد والسخط الاجتماعي من الإقطاع والطبقات، وما تبعها من حركات تحرر وانتفاضات للفلاحين في مناطق أخرى من العالم.

(55) د.عبد العزيز المقالح: الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى. دار العودة، بيروت، ط 2، 1983م. ص 73، 74.
(56) الزبيري: الأعمال الشعرية ، ديوان ثورة الشعر. ص 72.
(57) المصدر السابق . ص 142، 143.
(58) الغِيل: الوادي فيه ماء ، وموضع الأسد. ينظر: المعجم الوسيط، مادة (غالت). ص 669.
(59) الزبيري: الأعمال الشعرية، ديوان نقطة فى الظلام. ص 431.
(60) المصدر السابق: ديوان ثورة الشعر. ص67، 68.
(61) الزبيرى: الأعمال الشعرية، صلاة فى الجحيم . ص 298.
(62) المصدر السابق. ص 315، 316.
(63) الأُبُر: جمع أَبور وهو الطّلع الذي يؤبر(يصلح/ يلقح) به النخل.
(64) الزبيرى: الأعمال الشعرية، ديوان صلاة فى الجحيم . ص 318، 319.
(65) المصدر السابق، ديوان ثورة الشعر. ص 111،112.
(66) السابق ، ديوان صلاة في الجحيم . ص271.
(67) السابق . ص271.
(68) السابق ، ديوان نقطة فى الظلام . ص 505، 506.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- محمد محمود الزبيري: الأعمال الشعرية الكاملة. وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط 2004م.
1- (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر، بيروت، 1968م.
2- أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني. مكتبة النهضة المصرية ، ومطبعة الاعتماد بمصر ، القاهرة ، د.ت.
3- أحمد محمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي .دار نهضة مصر للطبع والنشر ،القاهرة ، ط2 ، د.ت
4- (الفيروز ابادي) مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية في 1301هـ ، ط 1978م.
5- رياض القرشى: شعر الزبيرى بين النقد الأدبى وأوهام التكريم. دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ط 1، 1990م.
6- عباس الجراري: في الشعر السياسي . دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1982م.
7- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون. الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة بولاق الأولى في1284هـ ، ط 2007م.
8- عبد الرحمن محمد العمراني : الزبيري أديب اليمن الثائر. مركز الدراسات اليمانية، صنعاء، ط1، 1979م .
9- عبد الرحمن محمد الوصيفي: نزار قباني شاعراً سياسياً .دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ط 2 ، 2002م.
10- عبد العزيز المقالح: الزبيرى ضمير اليمن الثقافى والوطنى. دار العودة، بيروت، ط 2، 1983م .
11- عبد العزيز المقالح: من أغوار الخفاء إلى مشارف التجلي، دراسات ومتابعات نقدية . دار الكلمة، صنعاء، د.ت.
12- عبده يحيى صالح الدباني: الشعر اليمني السياسي في الإسلام إلى نهاية العصر الأموي . جامعة عدن، و دار الثقافة العربية، الشارقة، ط1، 2002م .
13- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط 6، 2003م.

14- عز الدين إسماعيل : الشعر في إطار العصر الثوري . دار القلم، بيروت، ط 1، 1974م.
15- نزار قباني: الكتابة عمل إنقلابي . منشورات نزار قباني، بيروت، ط 5، 2000م.

الدوريات والمجلات:

16- مجلة " الآداب " البيروتية . العدد /1، مارس 1966م.

The Vision in the Political Poem of the Poet \ Mohamed Mahmoud Zubayri

Fares Tawfik Mohammed Albeel

Abstract

The political poem was born from the womb of the poetry to participate in the midst of policy and government affairs, to confirm the universality of poetry and literature in general and its implication of directions of life and affairs, stresses that the literature is connected to people's lives and owns and artistically conscious about it.

Since the poetry turns towards politics; it – although its paucity - had been able to be implemented into the hearts of people, impact on their guidance, motivate them, and drew their attention to the kinks in governance.

The literature still the honest on the issues of the people, the protector of their rights, attentive to their suffering from injustice, but it earlier in the alert and warning, lasting catalyst to the path of reform and change tracks.

And so, our poet (Mohamed Mahmoud Zubayri) is one of those poets who directed the poetry toward policy, but most notably, the most poetically struggle, his poems could perform a general speech directing the events, and the leader of the march of liberation.

That Zubayri's poetry; insight which matured cause of attitudes and stages, his poetry appeared alert to the ways of struggle, gradual in the act and guidance; from appeasement and advice to rebellion and resistance.

Also as a part of the insurgency, Zuberi's political poems followed objective stages, and gradually in the escalation of confrontation and warning to the governor, to mobilize and configured the people, explain all the ways to guide and prepare them for the great job.